

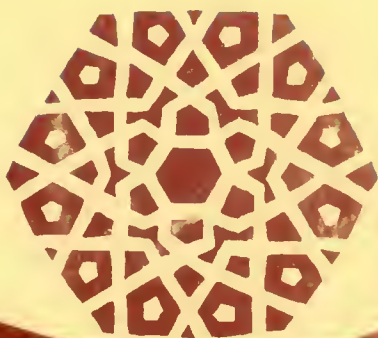
ساح الميراث

الميراث

بين الشريعة الإسلامية والنظم اليهودية



ساح الميراث



المراة
بين الشريعة الاسلامية
والنظم اليهودية

آصال زبيع

المسألة

بين الشريعة الإسلامية والنظم اليهودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

« صدق الله العظيم »

« الحمد لك يارب ، ياملك الدنيا ، يامن لم تخلقني اثنى »

« المشنا اليهودية »

مقدمة

ان الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده .

تسود أوساطنا الاسلامية آراء وشائعات تضرب على
وتر ظلم الاسلام واضطهاده للمرأة ، وكيف أنها
— أى المرأة — تعامل بأسلوب لا انسانى تحت مظلة
الاسلام .

واذا كانت هذه الآراء الضالة قد نبتت في الغرب ،
ومن بين معتققي اليهودية والمسيحية على وجه
الخصوص ، فانها قد ترعرت في بيئاتنا وأتت ثمارها
العفنة متمثلة في تلك القوانين التي تمس العلاقات
الزوجية والأسرية والتي تخالف الاسلام جملة وتفصيلا .
والأدهى من ذلك أن المسلمين رجالا ونساء قد انخدعوا
بتلك الآراء الوافدة وراحوا يرددونها كالبيغاوات دون
أن يميز صاحب عقل منهم الفارق الجوهرى بين حقيقة
ما جاء في الاسلام بشأن المرأة ، وبين ما يفعله المسلمون .

فيوم ان طبق المسلمون اسلامهم كان للمرأة وضعها
الرفيع في المجتمع ، وكانت لها كرامتها وتمتعت بكامل
حقوقها . ويوم أن تغاضى المسلمون عن دينهم امتهنت
المرأة وأصبحت في مكانة لا تليق بها .

وفي حالة غياب الاسلام بين المسلمين ، راح الحاقدون
يبيثون سمومهم في مجتمعاتنا ، وخطبوا وغيروا وبدلوا كثيرا
من المفاهيم والمواقف المتعلقة بالمرأة ، فصوروا — مثلا —
للمرأة جلوسها في بيتها واحترام رقتها ومشاعرها وأنوثتها
على أنه حرمان لها من حق العمل والمصارعة في وسائل
المواصلات والاختلاط . وعلى نفس المنوال قلبت المعايير
حتى أصبحت المرأة المسلمة تخاف وتخشى شيئا اسمه
الاسلام ، لانها تعتقد أن هذا الدين سيفرض عليها
القيود ، ويجعلها سلعة تباع وتشترى وتمتص من قبل
الرجال .

وفي عملية غسيل مخ للمرأة المسلمة ، نشاهدت فيها
الحكومات ووسائل الاعلام بكل ما تملكه من أجهزة ،
بات العديد من الاخصوات يرين في الاسلام العيب
الاول لهم .

وفي محاولة متواضعة ، ومن خلال هذا البحث —
أسمى جاهدة — كأمرأة مسلمة ، أن أبين لأخواتي
من النساء حقيقة وضعنا ومكانتنا في الاسلام في مقارنة
مع الشرائع اليهودية ، لتعلم المرأة الفارق الكبير بين
ماحبها الله به من منزلة سامية ، وبين ما وضعه الآخرون
من قوانين وسنن من فظم ، وحتى تقول عكس ما تقول

اليهودية « الحمد لله الذى خلقنا اناثا وأحاطنا بعطف
الاسلام وتقديره واحترامه لنا »

وبعد •

فما كان فى هذا البحث من حسنة فمن الله ،
وما كان به من سيئة فمن نفسى وأسأله تعالى أن يغفر لى
ولأخواتى المؤمنات ما كان منا من هفوات ،
وأن يهدى بنا ، ويهدى لنا انه على كل شىء قدير •

أمال ربيع

يرتبط تاريخ المرأة ببداية الخليقة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام خليفة له على الأرض ، وخلق منه حواء ليبدأ رحلة الحياة سويا ، إلى يومنا هذا . ومنذ عصور سحيقة ثار جدال واسع حول هذا المخلوق الذى أرادته الله ليتمم به الغرض الذى من أجله كانت الحياة على هذا الكوكب .

ومع اختلاف المجتمعات ، اختلفت وجهات النظر وتباينت تجاه المرأة . فمن هذه المجتمعات ما احترم المرأة وقدر لها كيانها واعترف بحقوقها ومنحها اياها ، ومنها ما كان على النقيض من ذلك فاعتبر المرأة كائنا نجسا قذرا ينبغى التحرز منه والابتعاد عثم ، ومنها من ربط وجودها وحياتها بحياة الرجل ، فهى اذن لا تستحق الحياة بعد وفاته فتحرق معه فى أتون واحد ... الخ .

وفى هذا البحث الموجز أقوم بمقارنة سريعة بين وضع المرأة فى الشريعة الاسلامية وبين وضع المرأة فى الشرائع اليهودية . وسيكون الحديث قاصرا — باذن الله تعالى — على أهم النقاط التى تعنى المرأة المعاصرة فى مجتمعنا المسلم ، وحتى تدرك المرأة المسلمة

أن الاسلام قد منحها ما لم تتمكن لها أى شريعة أخرى
أو أى نظم أو قوانين على وجه البسيطة ، وقد أتمكن
فيما بعد — بعون الله تعالى — من مقارنة المرأة المسلمة
والمرأة في النظم والشرائع الأخرى •

المرأة المسلمة والمرأة اليهودية

نظرة عامة

والحديث عن المرأة المسلمة بوجه عام يستلزم المرور
بإيجاز على ولحس المرأة فيها قبل ظهور الاسلام . وعلى
الرغم من تباين واختلاف اتجاهات المجتمعات الشرقية
إزاء المرأة بين تكويم لها ، وانقاص من قدرها ، فان
صورتها العامة لم تكن مرضية على الاطلاق . ولم يكن
المجتمع العربى يرى فى المرأة شرا محضاً ومع ذلك لم
تتمتع الأنثى بحقوقها الانسانية التى تتفق والهدف الذى
خلقت من أجله (١) .

ويمكن أن نرى للمرأة فى المجتمع الشرقى قبل
الاسلام ثلاثة مستويات ، تختلف النظرة التى كل منها ،
والمعاملة . وهذه الأنواع الثلاثة من النساء هى : الخرائر ،
والسبايا ، والاماء . وهذا التقسيم فى حد ذاته يشير
بوضوح الى اختلاف النظرة الاجتماعية فى ذلك الوقت
الى المرأة ومن ثم اختلاف المعاملة (٢) .

ومن أبرز سمات التعامل مع الأنثى قبل الاسلام
ظاهرة وأد البنات . ولعلها ترتبط فى أساسها بخوف

(١) عبد المنعم حباة ، مدرسة الرسول ، القاهرة ، من ١٤٢ - ١٥٠ .
(٢) المصدر السابق ، من ١٥٠ .

الرجل الشرقى من وقوع بناته فى الأبر نظرا لظروف الحياة وقتئذ وارتباطها بالحروب والمنازعات والمناوشات على أتفه الأسباب ، وان كان هناك من يرجع هذه الظاهرة الى أسباب اقتصادية أيضا (٣) .

ومن هذه السمات أيضا أن العرب كانوا لا يورثون المرأة ويخصون الرجل وحده بالميراث كله بدعوى أن المرأة لا تحارب مثل الرجل فى سبيل جمعه لهذا المال الذى يورث عن طريق الاغارة والسلب ، كما هى عادة العرب قديما ، أو بحجة أن المرأة لا تبذل جهدا فى تحصيله عن طريق التجارة (٤) .

ولما جاء الاسلام ، اهتم بالمرأة كناية فى حد ذاتها فكرمها كإنسانة ، لها مالها من حقوق وعليها ما عليها من واجبات وأحدث بذلك ثورة فى تاريخ المرأة لم تكن لتقوم لولا هذه التعاليم السماوية التى جاء بها هذا الدين .

يقول الله تعالى :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »

(البقرة : ٢٢٨)

(٣) حول أسباب ظاهرة واد البنات انظر : حبيب الزيتك الدمشقى ، المرأة فى الجاهلية ، القاهرة ١٨٩٩ .
(٤) أحمد محمد جمال ، مكثك تجدى ، جدة ، ص ٣٣ .

وقبل الحديث عن بعض حقوق المرأة في الاسلام
نشير في هذا المقام الى بعض الأسس التي بنى عليها
الاحترام الاسلامي لانسانية المرأة .

من بين هذه الأسس تحريمه للزواج المؤقت
المعروف بزواج المتعة (هـ) . فهذا النوع من الزواج يجعل
من المرأة مجرد متعة للرجل ، ينبذها بعد أن يقضى منها
حاجته في حين أن عقد الزواج ، كما يريد الإسلام
وكما يسميه القرآن الكريم ، ميثاقا غليظا
« وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء : ٢١) .
فالزواج كما يراه الإسلام سكنا ومودة ورحمة ، ولا يمكن
أن تتحقق تلك الصفات في زواج مؤقت تتخذ فيه المرأة
متعة أو سلعة .

ومن هذه الأسس أيضا تحريم الاسلام للزنا لأنه
يجعل من المرأة مجرد سلعة للبيع والشراء والايجار ،
وقد سماه القرآن الكريم « فاحشة » في قوله
عز وجل :

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا »
(الاسراء : ٣٢)

(هـ) وهو أن يعقد الرجل على المرأة يوما أو اسبوعا أو شهرا ،
وهو زواج متفق على تحريمه بين ائمة المذاهب ، وقالوا : انه اذا انعقد
يقع باطلا . وقد حرم هذا النوع من الزواج عام الفتح .

تلك هي النظرة العامة للمرأة ، وهي لا تفرق بين
انثى وأخرى ، وانما تعالج قضية المرأة حرة كانت
أم أمة ، فعندما يتحدث الاسلام عن المرأة انما يتحدث
عنها كوحدة للجنس كله (٦) . قال تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها »

(النساء : ١)

وقال تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

(الروم : ٢١)

وقد أقر الاسلام مبدأ المساواة في القيمة الانسانية
بين المرأة والرجل فقال جل شأنه :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

(الحجرات : ١٣)

فالتفاضل بين المرأة والرجل يخضع لمعايير يضعها
الخالق لا المخلوق الا اذا زعم هذا المخلوق أنه أعلم
بالمخلوق من الخالق .

(٦) عبد الصمد الجبري ، المرأة في التصويف الاسلامي ، القاهرة ،

١٩٨٥م ، ص ١٢٩ .

كما اعتبر الاسلام للمرأة كفاءتها الشرعية
التي لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال
المدنية من بيع وشراء ووصية وهبة دون أن يربط ذلك
بإذن من أبيها أو زوجها (٧) •

ونشير هنا الى بعض الحقوق العامة التي شرعها
الاسلام للمرأة • ففي المجال الروحي — مثلا — تحظى
المرأة بنفس الثواب والعقاب على ما تقدم من عمل
صالح أو سيئ ، ومسؤوليتها عن أعمالها كمسؤولية الرجل
أمام الله وأمام الشريعة • ويقرر القرآن الكريم تلك
الحقيقة حيث يقول الله تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم
من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » •

(آل عمران : ١٩٥)

ويقول تعالى :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » •

(النحل : ٩٧)

(٧) تاسم أمين ، تحرير المرأة ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ١٢ •

كما منح الاسلام حق الحياة للمرأة. داما لعادة
 وأد البنات ، أمرا بعدم قتلها « واذا المؤودة سنئت •
 بأى ذنب قتلت » (التكوين : ٨ : ٩) ، « ولا تقتلوا
 أولادكم (دون تفرقة بين الولد والبنت) خشية املاق
 نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا »

(الاسراء : ٣١)

واذا كان للاسلام كما أسلفنا فضل رفع شأن المرأة ،
 فان له أيضا السبق في ذلك ، وهو الأمر الذى أقره
 غير المسلمين (٨) ، وأنكره — للأسف — بعض المسلمين •
 ومن الحقوق العامة للمرأة في الاسلام أن تتاح لها
 كل الفرص التى تستطيع من خلالها أن تنمى كفاءتها
 ومواهبها الفطرية في حدود النظام الاجتماعى ، وأن تقوم
 بدورها في عملية عمران الحياة وتمدنها (٩) • وأما مسألة
 تفضيل الرجال على النساء في قوله تعالى :
 « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
 على بعض » •

(النساء : ٣٤)

(٨) جوستاف لويون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعير ، بيروت ،
 ص ٤٨٨ •
 (٩) ابراهيم محمد الجبل ، فقه المرأة المسلمة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
 ص ٤٦٨ •

فهو حقيقة طبيعية توافق الفروق والاختلافات البيولوجية بين الجنسين ، وهذه الفروق يقرها علماء الأحياء ويؤكدونها ، بيد أن الاسلام الذى يقر تلك الفروق انما يراعيها ويبقى عليها بمقدارها الصحيح دون تجاوز من أحد الأطراف ثم يحدد وظائف الصنفين ودرجاتهما بحسب نوعية الفرق وكيفيته .

فالمساواة بين المرأة والرجل فى جميع الكفايات والأعمال أمر لم يقيم عليه دليل من تكوين الفطرة ولا من تجارب الأمم ولا من حكم البداة والمشاهدة . ان تكوين الفطرة فى مسألة النسل التى هى قوام حياة الأسرة يفرق بين الذكر والانثى تفرقة لا سبيل الى الاغضاء عنها فى حياة النوع الانسانى على وجه الخصوص (١٠) .



واذا نظرنا الى المرأة فى التشريع اليهودى وجدنا أول ما يطالعنا فى قصة بدء الخليقة (١١) أن ذنب خطيئة آدم قد تحملته المرأة وحكم عليها أن تتحملة الى الأبد . فكما تذكر التوراة تبرأ آدم من مخالفته لأمر الله ملقيا

(١٠) عباس محمود العقاد ، حقائق الاسلام واباطيل خصمه ،

الطبعة ، ص ١٥٠ .

(١١) سفر التكوين ، الاصحاح ٣ : ١ - ٢٠ .

اثم هذه الخطيئة وتبعتهما على امرأته حواء .
 « فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطيتني من
 الشجرة فأكلت » . (التكوين ٣ : ١٣) . وتحملت
 حواء ، أول امرأة على الأرض عاقبة هذا الخطأ من الرب .
 « وقال للمرأة : تكثيرا أكثر أتعاب جيك . بالوجع تلدين
 أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » .

(التكوين ٣ : ١٧)

ولكن الاسلام رفع عن المرأة ذلك الاثم وجعل الرجل
 شريكا لها في المسؤولية بل انه حمل آدم القسط الأكبر
 في هذه الخطيئة (١٢) . قال تعالى :

« وعصى آدم ربه فغوى » . (طه : ١٢١) ، وجعل
 القرآن اثم الخضوع للشيطان على الرجل : « فوسوس
 اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد
 ومالك لا يبلى » . (طه : ١٢٠)

وتفرق التوراة بين المرأة والرجل في صورة تحمل بين
 طياتها شيئا من المهانة للمرأة حين تطيل فترة نجاستها
 اذا ولدت انثى الى ضعف فترة نجاستها لو ولدت ذكرا .

(١٢) مدحة خميس ، المرأة والشرائع المساوية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٤

ولا ندري سبب ذلك سوى أنها وضعت انثى فاستحققت ذلك العقاب المعنوي الثقيل (١٣) •

ومن القيود التي فرضها التشريع اليهودي على المرأة وجعلها تبدو في صورة محتقرة تلك القوانين الخباسة بالحيض ، إذ أنها تجعل المرأة في فترة حيضها نجسة هي وما تضطجع عليه وما تجلس عليه وما تمسه ، بل أكبر من ذلك أنها تحكم عليها بالنجاسة أيضا هي وما تمسه ، في فترة الاستحاضة مهما طالبت (١٤) •

وعلى العكس من ذلك نجد أن الشريعة الإسلامية تخفف عن المرأة أعباء العباداة في فترة حيضها ولا تدمعها بتلك النجاسة المغلظة — كما في التوراة — بل إن المرأة تعتبر طاهرة تماما ويحل لها كل شيء في فترة الاستحاضة وهي الفترة التي تزيد عن المعتاد في مدة الحيض (١٥) •

ولعل أقصى ما يمكن أن تكون عليه المرأة هو أن تسمح الشريعة للأب أن يبيع ابنته لتصبح أمة

(١٣) « إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها وان ولدت انثى تكون نجسة اسبوعين كما في طيبها تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها . » (سفر اللاويين ، ١٢ : ١ - ٥)

(١٤) انظر سفر اللاويين ، الاصحاح ١٩ : ٢٨

(١٥) سيد سابق ، فقه السنة ، دار الكتاب العربي بيروت ،

ج ١ ، ص ٨٢ - ٨٩ •

في يد غيره وهذا ما نجده واضحا في سفر الخروج حيث جاء فيه : « واذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد » (٢١ : ٧) فيفهم من هذه الفقرة جواز بيع المرأة وان كان البائع أباهما سوى أنها تخرج من ديارها بصورة تختلف عن خروج العبيد وحسب .

ومما سبق ، يتضح أن التشريع اليهودي لا يعطى المرأة حقها الانساني بوجه عام بل ويجعلها في مرتبة متدنية للغاية ، وجاءت آراء علماء التلمود (١٦) لتؤكد لنا تلك القيمة الهابطة للمرأة ، والصفات السلبية لها في العبارات الموجزة التالية (١٧) .

« واحسرتاه لمن كانت ذريته اناثا . »

« أصلح النساء مشعوذات . »

« النساء آراؤهن تافهة . »

« النساء لسن حكيما ولا يعتمد عليهن . »

« نزلت الى العالم عشرة أنصبه من الثثرة ،

أخذت النساء منها تسعا . »

« لا توجد امرأة إلا للجمال . لا توجد امرأة

إلا لانجاب الأولاد . »

« كل من يمشي وراء مشورة امرأة يسقط في جهنم . »

(١٦) التلمود هو احد أهم الكتب المقدسة عند اليهود .
(١٧) دفنا يزربلى ١ نساء في الفخ ، (بالعبرية) تل ابيب ١٩٨٢ ،

كما أن هناك العديد من الآراء التي تفرق تماما بين مهام المرأة والرجل الى درجة يستحيل معها على المرأة أن تكون كيانا ايجابيا في المجتمع بالرغم من وجود بعض الآراء القليلة التي ترفع من شأنها (١٨) .

وليس هذا بالطبع هو الوضع الذي عليه المرأة اليهودية المعاصرة ، فقد أدرك اليهود أن عليهم النهوض بالمرأة وتحسين أوضاعها التشريعية لكي يبدوا كأمة متحضرة ، ومن ثم بدأت الاتجاهات المنادية بتعليم النساء ، وأخذت تزدهر بعض الآراء من أجل رفع شأن المرأة كقولهم : ان المرأة هي بلورة المجتمع ، ونواة الشخصية السليمة ، فان تكوين العادات والمبادئ والقيم الضرورية للأمة انما يأتي من التربية (١٩) .

كما نادى حكماء اليهود ببعض الآراء التي تحت على احترام النساء في محاولة لاصلاح ما أفسدته التشريعات فقالوا : ان المرأة هي مصدر الجمال والمرح والمحبة في البيت ... وكلما وجدت بركة في المنزل فانها

(١٨) المصدر السابق ، ص ٢١٦

(١٩)

David Miller. The Secret Of The Jew, His Life
His Family, U . S . A, 1930 , P. 178 .

نقلا عن سوزان السعيد ، المرأة في الشريعة اليهودية ، رسالة
ماجستير من جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩

تأتى من المرأة التى تدبره فقد خلقها الله لتكمل
الرجل وتعطيه للسعادة التى لم يجدها بنفسه (٢٠) •

وعلى الرغم من تلك الصورة القاتمة للمرأة ، والتى
أشرنا اليها آنفا ، فقد لعبت المرأة دورا كبيرا فى التشريع
اليهودى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولقد كان
تأثيرها فى بعض الاحيان ايجابيا ، وفى أحيان أخرى سلبيا •
فعلى سبيل المثال كانت «سارة» من أعظم اللاتى ذكرن
فى التوراة ، فهى تشارك ابراهيم عليه السلام
— كما يرى اليهود — النبوة ، وتتلقى الالهام مثله ،
وعندما وقف ابراهيم عليه السلام ضد رأيها جاءت
كلمة الرب تلزمه بالاستماع اليها فيما تقول (٢١) •

وقد أنقذت أم موسى (عليه السلام) ابنها
من الموت بشجاعتها التى تؤثر عنها فى تاريخ الشعب
اليهودى • وزوجة موسى — وهى ابنة كاهن مدين —
لا بد وأنها قد تركت أثرا فى حياة موسى الذى اتبع
نصيحة أبيها فى تقسيم بنى اسرائيل الى أسباط •
(انظر سفر الخروج ، الاصحاح ١٨ : ١٧ — ٢٦)

(٢٠)
Brasch, O. B., The Judaic Heritage. « Its
Teaching, philosophy and symbols », New york
1969. P. 391
نقلا عن سوزان السعيد ، المصدر السابق
Miller, P. 52
(٢١)

كما أدت بنات صلفحاد الى تغيير التشريعة الخاصة بميراث البنات حين طلبن من موسى (عليه السلام) — وفق روايات تورااة اليهود — أن يشاركن مع أعمامهن في ميراث أبيهن ، كما يقدم لنا يسفر القضاة صورة واضحة « لدبورا » المرأة التي حكمت بني اسرائيل لسنوات عديدة ، وتقوم « نعمة » أيضا بدور أساسي في المحافظة على التشريعة في سفر روت .

ويقابل هذه الأدوار والمهام الايجابية للمرأة اليهودية أدوار أخرى سلبية قامت بها المرأة — كما تروى كتب اليهود — تجاه التشريع اليهودي . فعلى سبيل المثال تسببت ابنة لوط — عليه السلام — في انتهاك التشريعة خارقة قواعد المحارم الخاصة بالزواج (٢٢) (التكوين ، الاصحاح ١٩ : ٣١ — ٣٧) ، ودفعت الملكة ايزابيل زوجها الى سلب حقل نابوت وقتله كما دفعته الى عبادة البعل ، وأقامت له معبدا في السامرة ، وحاربت النبي ايليا .

ويمكن القول بوجه عام أنه استنادا الى العديد من الأمثلة التي ورد ذكرها في العهد القديم أن وضع المرأة لم يكن على وتيرة واحدة في جميع الأحوال اذ كانت نظرة

(٢٢) تزعم التورااة أن ابنتي النبي لوط عليه السلام قد سقيتا إباحيا خمرًا واضجمتا معه دون علم منه وجبلتا منه . وفي هذه الرواية ما لا يمكن أن يصدقه بشر مع رجل عادي فكيف بنبي ١٢ . هل يعقل أن يشرب النبي خمرًا حتى يفقد صوابه ويضاجع ابنتيه في ليلتين متواليتين حتى يحملانه ١٢ .

اليهودى الى المرأة تختلف من حين الى آخر ومن حالة الى أخرى ، وكان وضع المرأة يتأثر الى درجة كبيرة بالأحوال السياسية لليهود (٢٣) •

وأبرز مظاهر العداء للمرأة فى التشريع اليهودى تتمثل فى مهاجمة حكماء التلمود لها • ولعل ذلك يرجع الى أن قوانين التلمود كلها من وضع الرجال ، وبالتالى جاءت كلها حاملة لبذور التعصب للجنس ، مثيرة فى نفوس أحبار اليهود الخوف من قوة جاذبية المرأة التى كانت سببا فى خروج آدم من الجنة وغقا لما رواه سنن التكوين بهذا الصدد •

(٢٢) لمزيد من التفاصيل انظر سوزان اسعيد ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٩ •

القوامة

بين الشريعة الاسلامية والتشريع اليهودي

بعد تلك النظرة العامة على وضع المرأة في كل من الشريعة الاسلامية والتشريع اليهودي سأعرض هنا لبعض القضايا التي تهم المرأة والتي تجد لها جذورا مشتركة في كل من الاسلام واليهودية .

وأهم تلك القضايا مسألة القوامة .
فهى في الاسلام للرجل وحده . اذ هو المكلف بالانفاق على الأسرة وقيادة دفتها الى بر الأمان على أساس من الرحمة والمودة .

يقول الله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » . (النساء : ٣٤)
واذا اعتبرنا مسألة القوامة وجهة ادارية بحتة ، واعتبرنا ان الأسرة هيئة لا غنى لها عن قيم يتولى أمورها ، فمن يكون هذا القيم من الزوجين ؟

وفقا للآية السابقة فان هذه المهمة الصعبة ملقاة على عاتق الرجل ، وذلك لأن الله تعالى قد منح الرجل بعض الاستعدادات الخاصة التي توفقه الى أداء هذه المهمة ، مهمة قيادة الأسرة . ومن هذه الاستعدادات

ما يتمثل في التكوين الجسماني والذهني والذي يتمخض عنه توفر امكانيات السعي والعمل والارتقاء ومن ثم الانفاق على الأسرة حتى تتفرغ الزوجة والأم الى رعاية أمور بيتها وتدير شئونه • وإذا جازلنا أن نشبه الرجل في هذا المقام برئيس دولة ، فإن المرأة في الأسرة أشبه بوزير داخلية مهمته حفظ الأمن والاستقرار النفسي والمادي لهذه الدولة الصغيرة •

ولا أعرف سببا يجعل البعض ينظر الى القوامة نظرة حساسة ويرى أن في انسائها للرجل أجحافا للمرأة • فلو أن المرأة هي المكلفة — مثلا — بالانفاق على الأسرة ، فمن سيقوم بهذه المهمة ياترى عندما تضطر المرأة الى الاعتكاف في بيتها بضعة أيام أو أسابيع لحمل أو ولادة أو حيض أو مرض ما ؟!

ان تخصيص الرجل بالقوامة على الأسرة في الاسلام انما هو تشريف للمرأة بالدرجة الأولى لأنه يضعها في مكانها المناسب الذي يحفظ لها انوثتها ورقتها خاصة عندما نعلم أن قوامة الرجل في الاسلام مشروطة بالعدل والرحمة والمودة (٢٤) •

(٢٤) مزيد من التفاصيل حول مسألة القوامة في الاسلام في :

محمد نواز الهاشمي ، الايمان في كفة الميزان ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ١١٢ •
مديحة خنيس ، المسجر السابق ، ص ٣٩ • ابراهيم محمد الخجل ،
المصدر السابق ، ص ٤٦٥ • على عبد الواحد وافي ، المرأة في الاسلام ،
القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٥٤ • محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ، القاهرة ،
١٩٨٢ ، ص ١٢١ •

وفيما يتعلق بمسألة القوامة في الشرائع والنظم اليهودية ، فإن النصوص العبرية والقوانين اليهودية تمنح الرجل هذه القوامة • فالنموذج الوارد في التوراة للأسرة العبرية هو عائلة ابراهيم — عليه السلام — الذي اعتبره اليهود أباً للشعب العبرى • والشخصية الرئيسية للأسرة هي شخصية الأب ، رئيس القبيلة • وببيت الأب هو الوحدة الرئيسية للقبيلة ، كما أن الدين والاقتصاد يعتمدان أيضا على الأسرة (٢٥) •

وبالرغم من أن الأب هو الذى يقوم بكل شئون الأسرة ، وهو رئيس البيت الذى يقرب القرابين ، فإن للأب أهمية كبرى في تحديد مكانة القبيلة ، اذ ينقسم الأسباط الاثنا عشر على أساس الانتساب الى « ليئة » و « راحيل » وجاريتيهما « زلفة » و « بلهة » (٢٦) •

وقوانين الأسرة اليهودية المعاصرة تؤكد على دور الأب في القوامة خاصة في النواحي المادية المتمثلة في الانفاق (٢٧) •

(٢٥) سوزان السيد ، المصدر السابق ، ص ٤٧ •

(٢٦) المصدر السابق •

(٢٧)

**The Status of the Woman and the Family
According to the Halakhah. Committee on the
Status of the Woman, Jerusalem, 1976, P. 5**

الزواج

اسلاميا ويهوديا

الزواج من الأمور الفطرية عند الكائنات الحية .
ولما كان الانسان هو أرقى وأشرف هذه الكائنات فان معظم
الشرائع السماوية والنظم والنظريات الاجتماعية تتعرض
من قريب أو بعيد لهذه القضية . وهذا يعنى أننا قد نجد
وجوها للتشابه — فيما يتعلق بالزواج — بين الاسلام
واليهودية ، وقد نجد أيضا وجوها أخرى تختلف وتميز
جانبا على الآخر .

وسأحاول هنا عرض القضية بكثير من الإيجاز حتى
لا تمل الأخت القارئة من الاسهاب الذى لاطائل منه هنا .

أما فى الاسلام ، فقد رغب هذا الدين الكريم فى
الزواج ، وحجب فيه وذلك لما يترتب عليه من آثار نافعة
تعود على الفرد نفسه وعلى الأمة جميعها . فهو الأسلوب
الاسلامى الوحيد الذى اختاره الله لعباده كي يتوالدوا
ويتكاثروا ومن ثم تستمر الحياة ، فجعله سنة من سنن
الخلق والتكوين .

ولما برز فكر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية وجد
بين العرب أنوارا عشتى من الانكحة التى تقوم على امتهان

كرامة المرأة وجعلها مجرد متعة وملهة للرجل ومن بين
هذه الأنواع على سبيل المثال نكاح الاستبضاع (٢٨)
ونكاح المضامدة (٢٩) ونكاح المخادنة (٣٠) .

وقد ألقى الاسلام هذه الأنواع جميعا وأقر نوعا
واحدا يحفظ للمرأة كرامتها وإنسانيتها ويمنحها حقوقها
بما يليق ورسالتها في الحياة .

قال تعالى :

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم
من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات » .
(النحل : ٧٢)

(٢٨) كان الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يكون له ولد شجاع
أو نجيب طلب من زوجته بعد ظهورها من طبعها أن تذهب إلى من اشتهر
بذلك الخفة لتستضم منه . ثم يعتزلا زوجها حتى يبين حملها ، فإذا
حملت وولدت نسب الولد إلى زوجها .

(٢٩) المخادنة من الخسد وهو اللق والمصعب ، وكانت في الجاهلية
تطلق على معاينة المرأة لغير زوجها وكانت تلجأ إليه نساء الجماعات الفقيرة
من القبائل ، فتذهب المرأة إلى رجل غني فيعاشرها وينحها المال والعلامة .

(٣٠) المخادنة هي المصاحبة ، وكانت تطلق على معاينة مجموعة
من الرجال ، واحدة واحدة ، فإذا حملت ووضعت سبته بأحد هؤلاء الرجال
لا يستطعم الأب المختار انكار المولود .

لزيد من المخلونات حول الزواج عند العرب انظر : عبد السلام
الترماتيني ، الزواج عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٨٠ ،
الكويت ، ١٩٨٤ م .

وقال تعالى :

« ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

(الروم : ٢١)

وقد وضع الاسلام شروطا لاختيار الزوجة — أهم
ركن من أركان الأسرة — فهي المنجبة للأولاد ، وغناها
يرثون كثيرا من المزايا والصفات . وإذا كان من عادة
العرب قبل الاسلام أن يزوج الأب أو الولي ابنته
لن يشاء ، فقد منح الاسلام الحرية الكاملة للمرأة
كى تختار زوجها بنفسها ، بل جعل الزواج الذى يقوم
على الاكراه من قبل ولى أمر المرأة زواجا باطلا .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تزوج الاثيب حتى تستأمر ، ولا تزوج البكر
حتى تستأذن ، واذنها صماتها » .

وتمر عملية الزواج فى الاسلام بعدة مراحل منها
الخطبة ، وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية
ليعرف كل من الزوجين صاحبه . وقد سمح الاسلام
للرجل برؤية المرأة التى يريد خطبتها ، والتحدث اليها
شريطة ألا يكونا بمفردهما . أما ما يحدث فى المجتمعات
الاسلامية المعاصرة من افراط أو تفريط يتمثل فى ترك

الحبل على الغارب لكلا الخطييين أو منعهما من الرؤية
منعا تاما فهذا مغالاة ليست في محلها ولا يقرها الشرع
الحنيف .

فللمرأة اذن الحق التام في رؤية من سيتزوجها ،
وابداء رأيها بحرية تامة ، حتى تنشأ عن اقتترانهما فيما بعد
أسرة مستقرة . فهل تعرف الأخت المسلمة المعاصرة ذلك
أم أنها ملأت أسماعها وعقلها بمفتريات الحاقدين ؟!

ثم بعد الخطبة يأتي عقد الزواج . ويتحقق
بشرطين : أولهما تمييز المتعاقدين « فان كان أحدهما
مجنونا أو صغيرا لا يميز فان الزواج لا ينعقد » ، وثانيهما
اتحاد مجلس الايجاب (٣١) والقبول (٣٢) بمعنى أن
لا يفصل بين الايجاب والقبول بأى شئ يعتبر في العرف
اعراضا وتشاغلا عنه بغيره (٣٣) .

وحقوق الزوجة في الاسلام عديدة وشاملة . مادية
ومعنوية . فمن الحقوق المعنوية عدم الاضرار بها
ومعاشرتها بالمعروف ، والعدل بين الزوجات اذا كان الزوج
متزوجا بأكثر من واحدة ، وحقها أيضا في معاشرة
زوجها لها . وأما الحقوق المادية فأهمها المهر والنفقة (٣٤) .

(٣١) الايجاب . كأن يقول الرجل زوجته ابنتى أو مولتى .

(٣٢) القبول كأن يقول الرجل قبلت أو وافقت .

(٣٣) سيد سابق ، فقه السنة ، ج ٢ ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٣٤) مزيد من المعلومات حول حقوق الزوجة في : أبو الأعلى الموديدى ،

حقوق الزوجين ، ترجمة احمد أديس ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

فقد فرض الاسلام المهر للمرأة وجعله حقاً على الرجل ، خاصاً بها ، وليس من حق أبيها ولا أقرب الناس اليها أن يأخذ شيئاً من هذا المهر الا عن رضاها •
قال تعالى :

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً » •
(النساء : ٤)

ولم تحدد الشريعة الاسلامية حداً لقلّة المهر أو كثرته • فالناس يختلفون في الغنى والفقر ولكل مكان عاداته وتقاليده ، ويجوز تعجيل المهر وتأجيله أو تعجيله البعض وتأجيل البعض الآخر حسب عادات النساء وعرفهن •

ومن حقوق المرأة على زوجها أن يعد لها بيتاً ملائماً ، ويجهز كل احتياجاتها من الأثاث والأدوات بحيث لا يلزم المرأة بالمشاركة في هذا التأسيس المنزلي • وإذا كانت بعض المجتمعات التي تدين بالاسلام في عصرنا هذا تجعل عملية تجهيز بيت الزوجية مشاركة بين الطرفين ، فهي انظر اليها على انها اجبارية للزوجة فهي بعيدة عن روح الاسلام وتعاليمه ، وان تمت عن رضى وتساهل وتسامح بين الطرفين فلا بأس بها •

وقد جنحت بعض البلدان الإسلامية — كباكستان
مثلا — الى ما يخالف سماحة الشريعة حيث يلتزم الأب
بانفاق الأموال الطائلة على زواج ابنته وبناء مسكنها
مما كان له اكبر الأثر على الأوضاع الأسرية ، فأصبح من
يرزق بانثى يحمل همها منذ ولادتها وحتى خروجها من
منزلها حية أو ميتة •

ومن حقوقها أيضا النفقة • وتشمل كل ما تحتاج
اليه المرأة من طعام ومسكن وملبس وعلاج ، حتى وان
كانت غنية • وذلك واجب بالكتاب والسنة واجماع علماء
المسلمين •

قال تعالى :

« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
لا تكلف نفس الا وسعها » •

(البقرة : ٢٣٣)

وكما أن للمرأة حقوقها على زوجها فان عليها واجبات
تجاهه ، وهي تقوم في الأساس على المساواة بين الطرفين
استنادا الى قوله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف » (البقرة : ٢٨٨)

ومن هذه الواجبات أن تطيع المرأة زوجها في غير
معصية الله ، وأن تحفظه في نفسه وماله وأن تمتنع عن

عمل أى شيء يضيق به الرجل فلا تعبس في وجهه ولا تبدو
في صورة يكرها .

وأما عن الزوج في التشريع اليهودي فهو بمثابة رباط
متميز بين الرجل والمرأة . وتقع على الأب — وهو رئيس
العائلة — مسئولية اختيار الزوجات لأبنائه الذكور أو
الأزواج لبناته وهو ما يتضح من نصوص التوراة :

« وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولى على كل
ما كان له ضع يدك تحت فخذى . فاستحلفك بأرب
اله السماء واله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات
الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم . بل الى أرضى والى
عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى اسحق » .

(سفر التكوين ، الاصحاح ٢٤ : ٢ — ٤)

« فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له
لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . قم اذهب الى فدان آرام
الى بيت بتوايل أبى أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك
من بنات لابان أخى أمك » .

(التكوين ٢٨ : ١ — ٢)

ولعل تفسير ذلك يكمن في أن زوجة الابن أو زوج
الابنه سيصبحان من أفراد أسرة الأب الذى كان عليه

أن يحافظ على استمرار اسم عائلته عن طريق أحفاده (٣٥)
ولذلك كان الشيوخ ينصحون الشباب عند اختيار الزوجة
أن يبحثوا عن العائلة التي لم يعرف عنها الخلط .

ومع ذلك فقد كانت هناك زيجات ضد رغبة الأب
مثل زواج عيسو وشمشون ، ومثل زواج ابنة أحد أثرياء
اليهود (في عصر التلمود) ضد رغبة أبيها من الرابي
عقيبا وكان راعيا للغنم عند أبيها ثم دفعته بعد ذلك الى
تعلم التوراة والتبحر فيها (٣٦) .

وفي بعض الأحيان كانت الأم تختار زوجات أبنائها
وخاصة في حالة غياب الأب أو وفاته ، وقد شرعت هاجر
في اعداد الزواج لابنها وفق رواية التوراة : « وكان الله
مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس .
وسكن في بركة فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض
مصر » (التكوين ٢١ : ٢ - ٢١) .

وتدخلت الأم رفقة في زواج ابنها يعقوب :
« وقالت رفقة لاسحق ملئت حياتي من أجل بنات حث ،

Encyclopaedia Biblica, Vol. 3, P. 2943. (٣٥)

(٣٦)

Joseph Halpern, History of our People
in Rabbinic Times.

ان كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حشد مثل هؤلاء
من بنات الأرض فلماذا الى حياة » •

(التكوين ٢٧ : ٤٦) •

وسفر نشيد الأنشيد يعطينا صورة واضحة عن
اختيار الأم لعروس ابنها : « تحت شجرة التفاح
شوقتك هناك خطبت لك والدتك » •

(نشيد الأنشيد ٨ : ٥)

وبالرغم من احترام رأى الأب في زواج بناته
الا ان العاطفة الأبوية كانت تدفع الآباء الى استشارة
بناتهم قبل الزواج « فقللوا ندعو الفتاة ونسألها
نشفها • فدعوا رفقة وقالوا لها هل تذهين مع هذا الرجل
فقالا اذهب » (التكوين ٢٤ : ٥٧ — ٥٨) •

وقد اختلف الربانيون مع القرائين (٣٧) فيما بعد
حول حق البنت في الموافقة على الزواج ، اذ رأى القراءون
أنه ليس للفتاة حق في ذلك وأن زواجها معلق برضى
أبيها (٣٨) • وقد كانت سلطة الأب — ابان فترات
السيطرة الأجنبية — مطلقة في ترويج بنتاته ، بل ان الفتاة

(٣٧) الربانيون والقراءون. مذاهب. متينة يهودية ، والقراءون اقلية بين
اليهود وترى بعض المصادر ان جوانب عديدة من فقه القرائين قد تأثرت بالفقه
الاسلامى ، والحنلى على وجه الخصوص .

Encyclopaedia Judaica, vol. II .P. 1056... (٣٨)

البالغة سن العشرين لم تكن لتستطيع أن تصرح برغبتها في الزواج بشخص معين ، ويرجع ذلك الى خوف الأب من زواج بنته من الأجانب المسيطرين على البلاد (٣٩) .

وقد ظهرت في العصور الوسطى ظاهرة جديدة في الأوساط اليهودية وفيما يتعلق بالزواج ، اذ كان لابد من وجود وسيط بين والد العريس وبين والد العروس . وأصبحت مهنة الوساطة في الزواج مهنة معترف بها ويسمى الوسيط بالعبرية « شدخان » (٤٠) وكانت مهمته في بعض الأحيان صعبة خاصة عند تحديد مبلغ المهر « الدوطة » . وقد منع أحبار الربانيين تنظيم أى زواج الا بواسطة خبر مختص (٤١) .

وللوسيط أجر ثابت يقسم بين الطرفين مناصفة (والد العريس ووالد العروس) ، وكان ينظر الى هذه المهنة نظرة احترام ، ولا يعمل بها الا من نشأوا عليها وتوارثوها ، وقد عمل بها الكثير من الشخصيات اليهودية الهامة التي كانت تتمتع بالاحترام (٤٢) .

(٣٩) دائرة المعارف العبرية العامة (بالعبرية) ، المجلد الخامس ، النساء ، ص ٣٩٠ .

(٤٠) انظر القاموس العبري المكتف لابن شوشان ، القدس ، ١٩٨١ ، ص ٦٩٩ .

(٤١) انظر موسوعة « القانون ميراث الجميع » لشلومو لوين ، تل أبيب ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ (بالعبرية) .

(٤٢) سبزان السعيد ، المصدر السابق ص ٦٢ .

وفي التقاليد اليهودية تتم الخطوبة عن طريق الوالدين أو من ينوب عنهما ، وتصحب الخطوبة عادة باتفاق مكتوب يسمى « تنائيم » يشمل الشروط المزمع الاتفاق عليها في الزواج ، وهذه الشروط بالطبع تضم فيما بينها الاجراءات المالية المختلفة (٤٣) .

ويعبر عن الخطبة في اللغة العبرية بعدة ألفاظ منها « اروسيم » ، واستخدمت في التلمود كلمة أخرى هي « قدوشين » وتدل على ارتباط رجل بامرأة برباط الخطبة أو الزواج ، كما يدل هذا اللفظ على علاقة الرب بإسرائيل وقد انتقلت هذه الفكرة الى اليهودية من الثقافة الكنعانية حيث فكرة الزواج المقدس الذي يتم بين الآلهة وينتج عنه الرخاء والخصوبة . وقد الغيت الخطبة نتيجة تدهور أحوال اليهود في العصور الوسطى وأصبح الزواج يتم مباشرة مسبقا بمرحلة تمهيدية عرفت باسم « شدوخين » وتتضمن قائمة الشروط المتفق عليها (٤٤) .

وأما المهر — في الزواج اليهودي — فيسلم لوالد الفتاة مقابل تزويجه ابنته للشخص المتقدم اليه (٤٥) . ومن شأن المهر أن يبعث الطمأنينة في أسرة الفتاة .

وتروى التوراة أن سـخاء اليعازر عبد ابراهيم
 — عليه السلام — فى تقديم المهر والهدايا قد ساعد على
 موافقة « رفقة » وأسرتها على ذهابها الى أرض غريبة ،
 اذ اطمأن الأهل على مستقبل ومعيشة ابنتهم مع أسحق .
 (انظر التكوين ٢٤ : ٥٣)

وينقسم المهر الى مقدم ومؤخر • والمقدم يدفع
 عند الخطبة ، أما المؤخر فيحدد فى العقد ولا يدفع الا فى
 فى حالة الطلاق أو موت الزوج • واذا كان القراءون
 يرون ان المهر مقدم ومؤخر فان الربانيين يرونه
 مقدما فقط •

وعندما ساءت أحوال اليهود الاقتصادية فى العصور
 الوسطى رأى حاخاماتهم تقليل قيمة المهر فكان موسى
 ابن ميمون مثلاً يعتقد أن التوراة لم تنص صراحة على
 قيمة المهر ، وقد جاء التحديد من اجتهاد المشرعين
 الأوائل فى التلمود علماً بأن القرائين يحددون مقدم
 المهر بخمسين شاقلاً من الفضة •

وهناك نوع آخر من المهور يقدمه والد الفتاة لابنته
 ويسمى « ندونيا » وهو عبارة عن هدية أو مبلغ من المال
 أو بعض المتاع (٤٦) • كما كان من العادات والتقاليد

(٤٦) المصير السابق ، ص ٤٤٦ •

المتبعة أن تقدم الهدايا من أهل العريس والعروس ،
وقد عرف اليهود أنواعا مختلفة من هذه الهدايا منذ
العهد القديم • (أنظر التكوين ٣٢ : ١٣ - ٥ وكذلك
صموئيل الأول ٢٥ : ١٨)

وجدير بالذكر أن هناك عادات وتقاليد تتعلق بالزواج
انتقلت منذ العصور الوسطى من البيئة الشرقية الى يهود
الشرق تماما كما حدث مع يهود الغرب (٤٧) • وكان يوم
الجمعة هو أفضل الأيام التي يتم فيها الزواج في العصور
الوسطى ثم أصبح فيما بعد الأربعاء لزواج العذراء ،
والثلاثاء للأرملة أو المطلقة ، بينما كان زواج يهود الغرب
يتم يوم الأحد •

ويبدأ الاحتفال في اليوم السابق للزواج حيث تضع
العروس وسائر النساء الحناء على أيديهن وأرجلهن
اتقاء للحسد ، وقد كان من المعتقدات القديمة عند كثير
من الشعوب أن اللون الأحمر يطرد الأرواح الشريرة (٤٨) •
وقد نجد تشابها كبيرا في عادات الاحتفال بالزواج بين
العرب واليهود مثل ارتداء فستان الزفاف الأبيض
وغیره •

(٤٧) Israel A., Jewish Life in the Middle Ages, New
York 1981, PP. 192 - 201.

Encyclopaedia Judaica, Vol. II. P. 1044.

(٤٨)

وبوجه عام يمكن القول بأنه على الرغم من أن القوانين التوراتية قد أعطت للمرأة اليهودية دورا كبيرا داخل الأسرة فإنها قد قلصت ذلك الدور خارجها ، وظلت المرأة تابعة تماما للآب أو الزوج (٤٩) .

وفيما يتعلق بالعبادة في المعبد فقد كان دور المرأة ضعيفا ، ولم يكن لها مثل حقوق الرجل ولا عليها مثل واجباته وذلك فيما يتعلق بالصلوات الدائمة والطقوس التعبدية الأخرى . ويبدو أن هدف التلمود من ذلك هو أن تخصص المرأة جل وقتها للواجبات المنزلية (٥٠) . وقد استئنيت « المشنا » (٥١) المرأة من الواجبات الدينية المرتبطة بزمن من السنة (٥٢) ، كما كان من المحظور على المرأة دخول المعبد حيث كانت القاعة المخصصة للنساء — في العصور المتأخرة — لا تغتبر جزءا من الهيكل الأساسي للمعبد اليهودي (٥٣) .

(٤٩) شالوم بارون ، التاريخ الاجتماعي والديني لشعب اسرائيل (بالعبرية) ، الجزء الأول ، رمات — جان ، ١٩٦٨ ، ص ٩٤ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٥١) المشنا أحد الكتب التشريعية المنسوبة عند اليهود وتشكل مع الجمارا ما يسمى بالتلمود .

(٥٢)

Segal. J. B. The Jewish Attitude Towards Women. Journa L. of Jewish Studies, Vols. 30 - 31, Oxford, 1960, P. 121 .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

تعدد الزوجات

ومن القضايا المشتركة بين الشريعة الإسلامية والتشريع اليهودي مسألة تعدد الزوجات والتي يعتقد الكثيرون بأنها من خصائص الإسلام وحده . وفيما يلي سأعرض لهذه القضية التي تمس المرأة وتشغل بالها ، لتعلم كيف جاء التعدد في الإسلام محددًا ومشروطًا ليكون للنساء رحمة ونعمة .

لقد أباح الإسلام للرجل المسلم أن يتزوج أربعًا من النساء وما شاء من الاماء . ومهما كانت أسباب هذا التعدد والتي يمكن ايجازها في قوة الرجل الجنسية بوجه عام ، وكثرة النساء عن الرجال في العديد من المجتمعات ، وكثرة السبايا في الأزمنة الماضية ، فإن الشريعة الإسلامية قد حثت على الزواج بواحدة فقط بل ووضعت شروطًا صعبة التحقيق لمن يرغب في التعدد ، وقد جاء الإسلام في جزيرة العرب وكان التعدد قائمًا بالفعل وبلا حدود ، فهذه وحده ونظفنه ، وجعل العدل بين الزوجات شرطًا أساسيًا للتعدد ، وفي نفس الوقت أنبأنا الله تعالى بصعوبة تحقيق هذا العدل مهما حرص الرجل على ذلك .

يقول الله تعالى :

« وان خفتكم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحروا
 ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتكم
 ألا تعدلوا فواحدة (٠٠٠٠) » (النساء : ٣)

وقال تعالى :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو
 حرصتم (٠٠٠) » (النساء : ١٢٩)

فشرط العدل ، ثم التنبيه في نفس الوقت على عدم
 استطاعة الرجل على تحقيق هذا الشرط يجعل أمر التعدد
 صعب التحقيق •

ومع هذا فان مبدأ تعدد الزوجات يعتبر من الناحية
 الواقعية في صالح المرأة لا ضدها ، فخير للمرأة أن تكون
 زوجة ثانية أو ثالثة على أن تعيش حياتها دون زواج ،
 بل وخير لها أيضا — اذا أصابها مرض عضال مثلا —
 أن تكون زوجة ثانية أو حتى عاشرة من أن تلقى دون راع
 أو مسئول ، وخير للمجتمع كله أن يكون هناك تعدد زوجات
 شرعى وعلمى من أن تتعدد العشيقات للرجل ويكثر الزنا
 وينهار المجتمع •

وقد ذهب بعض العلماء المسلمين الى أنه من حق
 المرأة أو وليها أن لا يتزوج عليها مرة أخرى — اذا اشترط

ذلك واتفق عليه — ولها حق فسخ الزواج اذا لم يف الزوج بهذا الشرط (٥٨) .

ولمن ناحية أخرى فقد أباح التشريع اليهودى تعدد الزوجات بهدف زيادة النسل ، وعرف اليهود فى عصورهم الأولى نظام الجمع بين الاختين ، فوفق نصوص التوراة تزوج يعقوب — عليه السلام — من « لىئة » و « راحيل » ثم حرم ذلك فيما بعد ، وقد أضاف اليهما اثنتين أخريين .
(انظر التكوين ٢٩ : ٢١ — ٢٩) .

وقد انتشرت ظاهرة تعدد الزوجات فى المجتمع العبرى وخاصة فى حالة عقم الزوجة وأبرز الأمثلة على ذلك زواج ابراهيم — عليه السلام — من سارة وهاجر . وفى سفر التكوين يقولون : « واتخذ لأمك لنفسه امرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة » (٤ : ١٩) . ولأمك هذا هو أحد أحفاد آدم القريين ، وهذا يدل على أن تعدد الزوجات — من وجهة النظر اليهودية — كان أمرا طبيعيا منذ بدء الخليقة .

والتلمود يحدد عدد الزوجات للرجل العادى بأربع ، وللملك ثمانى عشرة (٥٩) . وعلى الرغم من صدور تشريعات فى العصور الوسطى حرمت تعدد الزوجات

(٥٨) ابراهيم تحصد الجبل ، مشكلات فى طريق المرأة المسلمة ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٦٨ .

Encyclopaedia Biblica, Vol. 3, P. 2945

الا أن الوضع النهائي لهذه القضية قد استقر على إباحة التعدد وإن اشترطت بعض الطوائف كالقرايين مثلا ضرورة العدل بين الزوجات (٦٠) *

ويلاحظ في الوقت الراهن انتشار ظاهرة التعدد في المجتمع الاسرائيلي بين طوائف اليهود الشرقيين كاليمنيين وغيرهم الأمر الذي يسبب كثيرا من المشاكل للسلطات في اسرائيل (٦١) خاصة وأن التعدد غير مشروط بوجه عام *

ولا يفهم من اقرارى لمشروعية التعدد أننى — كأمرأة — أطلب به ، أو أسعد لحدوثه ، وإنما قد عمدت من خلال هذه الإشارة السريعة الى أن أبين للمرأة المسلمة ، أن الشريعة الاسلامية لم تكن لتقر وضعاً ضد الفطرة ، أو فى غير صالح البشر ، كما أردت أن أوضح للأخت المسلمة كيف يخرج الرجال — فى أغلب الأحيان — عما حددته لهم الشريعة حين يتزوجون بأكثر من واحدة — وهذا حق لهم — دون أن يعدلوا بينهم — وهذا واجب عليهم *

(٦٠) مراد فرج ، شعار الخير ، القاهرة ، ١٩١٧ ، ص ٨٢ .

(٦١) - لمزيد من التفاصيل انظر :

Coitein, S., Jews and Arabs New york 1955, PP. 184 - 185 .

الطلاق

ومن الأمور المشتركة أيضا بين الشريعة الإسلامية والتشريع اليهودي قضية الطلاق وإن اختلفت التفاصيل في كل منهما .

فاستقرار الحياة الأسرية غاية من الغايات التي يحرص عليها الاسلام ، وعقد الزواج إنما يعقد للدوام الى أن تنتهي الحياة ليتسنى للزوجين أن يجعلوا من البيت مهدا يأويان اليه وينعمان فيه ، وليتمكنوا من تنشئة أولادهما نشأة صالحة . ومن أجل ذلك كانت الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها في الاسلام ، وكل أمر يضعف من هذه الصلة مكروه وبغض الى الاسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال الى الله عز وجل الطلاق » .

ومع ذلك فقد أبيع الطلاق في الاسلام عندما يكون لا مفر منه لعلاج مشاكل مزمنة بين الزوجين استعصت حلولها واغلقت أبواب التفاهم بينهما .

وقد قسم علماء المسلمين الطلاق الى أنواع (٦٢) فمنه الطلاق الواجب ، وهو كما قلنا في جالة استحالة استمرارية

(٦٢) سيد سابق ، فقه السنة ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢

العلاقة الزوجية بين الرجل وامرأته ، ومنه الطلاق المحرم وهو ما كان بغير سبب ، وانما كان حراما لأنه ضرر بنفس الزوج وضرر بزوجته ، ومنه أيضا الطلاق المباح ويكون عند الحاجة اليه لسوء خلق المرأة مثلا ، أو سوء عشرتها ... ، ومنه الطلاق المندوب — أى المستحسن — وهو الذى يكون عند تفريط المرأة فى حقوق الله الواجبة عليها مثل الصلاة وغيرها •

وتخطىء من تعتقد أن الطلاق من حق الرجل وحده فى الاسلام • فللمرأة أيضا أن تتمتع بهذا الحق وتطلبه فى ثلاث حالات (٦٣) أولها أن تجعل المرأة العقيمة بيدها وثانيها أن تطلب الطلاق لأنها كارهة لزوجها غير مطيقة لمعاشرته ، وهذا مبدأ اسلامى صريح أقره الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل به ، وشرطه الوحيد أن تتنازل المرأة عما تمتلكه عن طريق الزواج ، وهو شرط عادل • لأن الزوج حين يطلق زوجته يفقد كل ما ملكه أيها بالزواج ، أى أن الطرف الذى يتسبب فى الطلاق — رجل كان أم امرأة — عليه أن يتحمل خسارة مادية مقابل فضمه لعرى الزوجية •

وثالث حالة تبيح للمرأة طلب الطلاق — مع الإحتفاظ هذه المرة بمتاعها وأخذ النفقة من زوجها — تتمثل فى

(٦٣) محمد تطلب ، شبهات حول الاسلام ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٣١

سوء المعاملة أو الاضرار من قبل الزوج بشرط أن تثبت
الزوجة ذلك •

ومن هنا نرى أسلحة المرأة المتاحة لها مقابل ما يمكن
أن نسميه بسلطة الرجل عليها ، وهما في النهاية — أى
الرجل والمرأة — متساويان متكافئان ، أما المنادون بالغاء
الطلاق أو تقييده فعليهم النظر الى المجتمعات الأخرى
التي لم تأخذ بهذا المبدأ لتدرك أن الطلاق يمكن أن يعد
ضمن المزايا التي منحها الاسلام للمرأة كما منحها للرجل •

فماذا تفعل المرأة اذا كانت كارهة لزوجها ؟ أتذهب
الى رجل آخر من خلف ظهره كما تفعل النسوة في
المجتمعات الأخرى ؟ أم تطلب الطلاق ثم تذهب الى
من تريد ؟

أتمنى أن تجيب الأخت المسلمة على سؤالى هذا
وستعلم وقتها أن الطلاق نعمة منحها الله لنا ، والمطلوب
مننا — نساء ورجالا — أن نحسن استخدامها ، ويوم يحسن
اسلامنا جميعه سنجد انزواء ظاهرة الطلاق تدريجيا •

أما اليهودية فقد أخذت بمبدأ الطلاق أيضا مع
فارق كبير ، اذ أطلقت بلا حدود ولا ضوابط ، وجعلته
من حقوق الرجل وحده •

جاء في التوراة : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها
فان لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء
وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته .
ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر .
فان أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه
الى يدها وأطلقها من بيته أو اذا مات الرجل الأخير الذي
اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها
أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست » .
(التثنية ٢٤ : ١ - ٥)

فمما سبق يتضح لنا أن الطلاق في التشريع اليهودي
أمر هين وسهل لأن سلطة الرجل طاغية في هذا الحق ،
لا تحدها قيود أو حدود . ومع ذلك هناك علماء يهود
يرون أن الطلاق لا يحسن بدون عذر ، والأعذار عندهم
قسمان : عيوب الخلقة ، وعيوب الأخلاق (٦٤) .

وتحاول المحاكم - حديثا - اقناع الطرفين بالعدول
عن الطلاق ومصالحتهما ، فاذا أصرا على طلب الطلاق
كان لابد أن يقع بينهما (٦٥) .

(٦٤) سيد سابق ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤
The Status of the Woman , P . 27 . (٦٥)

الملكية والميراث

ومن قضايا المرأة التي نلجدها تتباين تبائنا شديدا
بين الشريعة الإسلامية والنظم اليهودية مسألة الملكية
والميراث .

لقد أعطى الاسلام للمرأة كيانا اقتصاديا مستقلا
أصبحت بموجبها تملك وتتصرف وتتفقد بشخصها مباشرة
بلا وكالة ، وتعامل المجتمع بلا وسيط . فهي بالإضافة
الى أنها تتمتع بأموالها الخاصة وحققها في مهرها لا يطلب
منها وهي زوجة أن تشترك في الانفاق على متطلبات الحياة
الزوجية ، فاذا طلقت كان لها حقها في النفقة ، واذا مات
زوجها كان لها حقها في الميراث .

وأما بالنسبة للميراث فقد جعل الاسلام « فللذكر مثل
حظ الانثيين » (النساء : ١٧٦) وقد يرى البعض في ذلك
اجحافا بحق المرأة بينما هو — لأولى الألباب والأبصار —
ميزة للمرأة . فالرجل مطالب بدفع المهر عند الزواج للمرأة ،
ومطالب بالانفاق عليها مهما كان ثراؤها ، وعلى أولادها .
وبعملية حسابية بسيطة نجد أن النصف المخصص للمرأة
من الميراث هو بمثابة « صافي الربح » ، بينما قد لا يبقى
للرجل شيئا من هذا الصنف الذي أوجبته الاسلام له
من الميراث . فمن المستفيد إذن ؟!

يقول جوستاف لوبون : ان مبادئ الميراث في الشريعة الإسلامية على جانب عظيم من العدالة والانصاف وبمقابلتها مع القوانين الفرنسية والإنجليزية نجد ان الاسلام منيح المرأة بحقوقا لا نجد مثلها في قوانيننا . فالمرأة في الاسلام تكتسب حقوقها المالية كالرجل وتتصرف فيها مثله « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (النساء : ٣٢) ، ووسائل اكتساب الحقوق واحدة بالنسبة للجنسين وهي التملك بالشراء أو الارث أو الهبة أو الوصية وغيرها مع الأخذ بعين الاعتبار عدم تكلفة المرأة بأى نوع من الإنفاق لا على نفسها ولا على غيرها (٦٦)

وأما في النظم اليهودية فلا تحظى المرأة بمثل هذه الحرية ، اذ أن ميراث المرأة مرتبط بشروط خاصة ، فاذا ورثت المرأة مثلاً عن زوجها المتوفى ميراثاً معيناً ينتقل حق ملكية هذا الميراث لعائلة زوجها الجديد اذا تزوجت . وجاء في الاصحاح السادس والثلاثين من سفر العدد تفاصيل ميراث المرأة اليهودية ، وهو يشير بموضوح الى سلبه لحق ملكية المرأة النظمة لميراثها ، اذ يكون لازماً على من تراث أن تتزوج في سبط أبيها ليعود المال لنفس السبط ، أى أنها لا تعدو على أن تكون

(٦٦) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦

وسيطا أو « مالكا مؤقتا » ينتقل عن طريقه المال لاصحابه
ثانية « رجال العائلة » متمثلين في زوجها • جاء في التوراة :

« فان صرن نساء لأحد من بنى أسباط بنى إسرائيل
يؤخذ نصيبهن من نصيب آبائنا ويضاف الى نصيب السبط
الذى صرن له فمن قرعة نصيبنا يؤخذ • ومتى كان اليوبيل
لبنى إسرائيل يضاف نصيبهن الى نصيب السبط الذى
صرن له ومن نصيب سبط آبائنا يؤخذ نصيبهن » •

(سفر العدد ٣٦ : ٣ - ٤)

وعلى الرغم من أن القانون اليهودى الحديث
قد أعطى المرأة حرية التصرف فى ممتلكاتها وإدارتها
كيف تشاء اذ جعل هذا القانون كلا من الزوجين مسئولا
عن ممتلكاته وليس له أن يفرض مسئوليته على حقوق
الطرف الآخر (٦٧) فان هذا القانون يعتبر تعديلا للشرعية
اليهودية التى فرضت على الزوجة الخضوع لارادة زوجها
فى ادارة شؤونها المالية • وممتلكات الزوجة التى ينص
عليها عقد الزواج من حق الزوج أن ينتفع بها ويحتاجها
دون التصرف فى الأصل ، كما أنه لا يحق للزوجة التصرف
فى ممتلكاتها الا بعد موافقة زوجها لأن نتاج هذه الممتلكات
من حق الزوج حسب الشريعة ، بل اكثر من ذلك أن من

(٦٧) شلومو لوين ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ •

حق الزوج أيضا الاستفادة من الهدايا التي تقدم للزوجة
بعد الزواج إلا إذا نص صاحب الهدايا على أنها
للزوجة فقط (٦٨) .

(٦٨) منوزان السعيد ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

تعليم المرأة وعملها

وآخر القضايا التي أعرض لها في هذا البحث الموجز ، قضية تعليم المرأة وعملها ، ولعلها من أكثر القضايا التي تشغل بال المرأة عامة والمسلمة خاصة بعد أن تسربت إلينا سموم التمدن الزائف .

ففى الاسلام ، يخطئ من يعتقد أن تعليم المرأة وعملها غير واجبين ، أو هما مما لا يجوز شرعا . فالشريعة الاسلامية لم تفرق اطلاقا — فى وجوب العلم — بين المرأة والرجل . فالقرآن الكريم يحبب فى العلم ، ويكرم العلماء دون تحديد لجنس المتعلم ، وانما يأتى الخطاب الالهى موجها للجميع «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» . (الزمر : ٩) ، « انما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر : ٢٨) ، « اقرأ وريك الأكرام . الى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (العلق : ٣ - ٥) .

ومن المفهوم من قواعد اللغة — حتى لا تفهم الآيات فى غير موضعها — أن الخطاب أو الحديث اذ كان يتعلق بذكور واناث فان الصيغة المستخدمة تكون للمذكر .

وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين جميعا على طلب العلم ولم يفرق أيضا بين المرأة والرجل

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » والتاريخ الاسلامى حافل بالأمثلة الدالة على تفقه النساء ونيلهن نصيبا كبيرا من العلم ، ويكفى أن نعلم أن السيدة عائشة — رضى الله عنها — زوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانت تسأل فى أمور الدين فتجيب بما لديها من علم .

وترتبط قضية تعليم المرأة بقضية عملها . تلك القضية التى يتجاذبها معسكران أحدهما يحرم على المرأة أن تخرج الى ميدان العمل ، والآخر يفتح لها أبواب العمل على مصراعيها دون مراعاة لتكوينها الجسمانى والنفسى .

والحقيقة أن الاسلام لم يحرم العمل بالنسبة للمرأة ، وانما يبيح لها أن تعمل عملا مناسبا لانوثتها وعندما تضطرها الحاجة الى العمل أو يحتاج المجتمع الاسلامى لها ، وان كان الأفضل لها بالدرجة الأولى أن تتفرغ لما هو أهم ، لتلك المهمة الانسانية النبيلة التى اختارتها لها طبيعتها الخاصة ألا وهى الزوجية الصالحة ، والأمومة الراحية . فانشاء الأجيال وتربية النشء على أسس صحيحة أعظم واكرم للمرأة نفسها وللمجتمع أيضا من أى عمل آخر تباشره خارج البيت خاصة اذا كان الرجل يستطيع أن يحل محلها فيه . فالسلام — الذى يحث المرأة على التعليم — يريد من المرأة أن تتعلم كل ما يمكنها أن

تؤديه بدورها الى مثيلاتها من النساء . فالمجتمع بوجه عام ، والاسلامى منه على وجه الخصوص ، ليس بحاجة الى مهندسة زراعية أو ميكانيكية أو باحثة فى الآثار والحفريات أو منقبّة عن البترول فى أعماق الصحراء وانما بحاجة بالفعل الى طبيبة وممرضة ومعلمة ، وأعتقد أن هذه المهن الملائمة للمرأة وتكوينها أهم بكثير للمجتمع لأنها تتعلق بحياة الأفراد قبل أن تتعلق بتقدمهم أو ثرائهم .

وقد فرق علماء المسلمين بين عمل الزوجة الذى يؤدى الى انقاص حق الزوج أو ضرره وبين العمل الذى لا ضرر من ورائه فمنعوا الأول وأجازوا الآخر ، وقد أسهب العلماء فى الحديث عن ذلك (٦٩) .

أما عن حق المرأة اليهودية فى التعليم والعمل فيبدو أنه لم يكن متاحا الا فى حدود ضيقة جدا ، اذ يستدل من الوثائق التى كتبت فى عصر التلمود وهو العصر الذى أخذ فيه التعليم شكله المنظم فى مدارس أحبار التلمود (الجاؤثيم) . وقد أخذ تعليم المرأة شكل الاستماع الى دروس الفكر الدينى من أخوات لهن يتميزن بمقدرة على

(٦٩) انظر ابراهيم محمد الجبل ، مشكلات فى طريق المرأة المسلمة ، ص ١٥٧ . محمود محمد الشارود ، المرأة العصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٥ ، ابراهيم محمد الجبل ، لغة المرأة المسلمة ، ص ٤٦٥ . محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ، ص ١٣٧ ، على عبد الواحد واق ، المرأة فى الاسلام ، ص ٣١ - ٣٢ .

الشرح والتفسير ومن نساء الطبقة الراقية المثقفة المتعلمة وخاصة بنات الحاخامات • وقد اقتصر تعليم المرأة على دراسة الأسس الدينية في العهد القديم والمهالاخاء (الشريعة) ، ولكن كان يسمح للبعض منهن بتعليم علماني وان كان هذا في حدود ضيقة للغاية (٧٠) •

وكانت المرأة اليهودية تحصل على تعليمها الديني والمهني — وذلك فيما يتعلق بالبيئة الشرقية في العصور الوسطى — في اطار الأسرة : من أمها وجدتها ، وهؤلاء يدرّبونها ويعلمونها تطبيق الأحكام المرتبطة بالمرأة وكذلك أمور بيتها دون أن يتطلب الأمر قراءة في الكتب وانما من خلال الأمثلة الواقعية (٧١) •

ويمكن القول بأن قضية تعليم المرأة اليهودية قد واجهت تشددا من قبل العديد من العلماء التلموديين إذ تمسك بعضهم بالمثل التوراتي القائل « كل احترام بنت الملك في داخل بيتها (٧٢) » وجعلوا مهمة المرأة محصورة في بيتها ، ومنهم من سمح لها بالخروج لتعلم التوراة في المدارس (٧٣) •

(٧٠) سوزان السعيد ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ •

(٧١) اليمارز بائشان وضم المرأة اليهودية الاجتماعي والنتافي

في الشرق الأوسط (بالعبرية) ، القدس ، ص ٨ •

(٧٢) شالوم بارون ، المصدر السابق ، ص ٩١ •

(٧٣) اليمارز بائشان ، المصدر السابق ، ص ١١ •

وأما فيما يتعلق بالعمل ، فمنذ أيام القبريين الأولى كانت للنساء مهام خاصة يؤدونها فكانت الفتيات تساعد في الحقل وفي جمع الكروم ، كما كن يشاركن الرجال في الاحتفال بالاعياد المتعلقة بمهنة الرعي (٧٤) . كما كانت النساء تقوم بأعمال الغزل والنسيج وبإحضار الطعام وجلب المياه .

ويحكى لنا الأدب التلمودي أنه كانت هناك في بعض الأحيان نساء تعمل في الصناعة والتجارة وهناك أخريات ساعدن أزواجهن في التجارة بل وكان لهن دور كبير في ذلك (٧٥) . وفي العصور الوسطى كانت المرأة اليهودية في الشرق الأوسط مهتمة بإدارة المفاوضات التجارية ، كما أبدت استقلالية في حياة المجتمع والاقتصاد على الرغم من القيود التي كان يلزمها بها المجتمع (٧٦) . ويمكن أن نقرر أيضا أن المرأة اليهودية التي عاشت في البيئة الإسلامية قد تأثرت في أوضاعها فيما يتعلق بتفويض التعليم وتولي المناصب ، بما يقرره الإسلام بالنسبة للمرأة المسلمة (٧٧) .

(٧٤) سوزان ألسفيد ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٧٥) شالوم بلرون ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٧٦) اليعازر بلشان ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

خاتمة

بعد هذا الاستعراض السريع لوضع المرأة العام في كل من الشريعة الإسلامية والتظلم اليهودية ، وبعد الإشارة الى بعض النقاط المشتركة بين الجانبين وابتزاز أوجه التشابه والاختلاف بينهما نوجز القول هنا ونقدم خلاصة النظرة الإسلامية واليهودية للمرأة .

فأما من ناحية الإسلام فقد أورد الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه « الإسلام ومشكلات الحضارة » (٧٨) في صفحات معدودة ما يغني عن قراءة عشرات الكتب عن وضع المرأة في الإسلام ، فقال رحمه الله :

لقد عنى الإسلام — منهج الله للحياة الإنسانية — بتصحيح النظرة الى المرأة ، وبإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة ، وبتوضيح هذه العلاقة في كل فرع من فروعها النفسية والعملية بحيث لا تضرب ولا تتأرجح ، ولا يكتنفها الغموض في زاوية من زواياها .

عني — أولاً — ببيان وحدة الزوجين وتساويهما (من الناحية الإنسانية) ليقضى على جميع النظريات

(٧٨) سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، قاهر

الخاطئة التي كانت ترغم أن المرأة جنس منحط بذاته
عن جنس الرجل •

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء ٠٠٠ » (النساء : ١)

وعنى — ثانياً — ببيان وحدة الزوجين وتساويهما
(من ناحية علاقتهما بربهما وجزائهما عندة) :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضع عدل عامل منكم
من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض • »

(آل عمران : ١٩٥)

وعنى — ثالثاً — ببيان نوع الصلة بين شقى النفس
الواحدة ، وأهداف هذه الصلة المتنوعة ، سواء ما يختص
منها بالزوجين ، وما يختص منها بالمجتمع الانسانى كله •

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ٠٠ » (الروم : ٢١)

وعنى — رابعاً — بتنظيم الصلة بين الجنسين فى كل
أحوالها وأطوارها ، وما يشتركان فيه ، وما يتفرد به كل
منهما — وفقاً لتكوينه الفطرى ووظيفته فى المجتمع
الانسانى القائم عليهما كليهما ٠٠٠

(أ) فبين حقهما معا — في أصل الملكية والكسب والميراث — مع خصوصية كل منهما في بعض الفروع ، وذلك للقضاء على جميع النظريات والأنظمة الخاطئة التي كانت تحرم المرأة حقها هذا :

« للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (النساء : ٣٢)

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ٠٠ » (النساء : ٧)

« يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » • (النساء : ١١)

(ب) وبين نظام قيام الأسرة ، ونظام التعامل بينهما في الأسرة ، وحقوق كل منهما على الآخر ، وحقوق الأطفال الناشئين ثمرة التقائهما كذلك •
فالعلاقة تبدأ زواجا بمهر •

« وأحل لكم — ما وراء ذلكم (٧٩) — أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما » • (النساء : ٢٤)

(٧٩) أى فيما عدا المحرمات المذكورة في آيات سابقة •

والمرأة لا تورث كالماتع ولا تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها لتفتدي نفسها من أهل الزوج — ولا تمسك بعد الطلاق ضاراً حتى تفتدي نفسها من الزوج — كما كان الحال في الجاهلية :

« يا أيها الذين آمنوا لا يجز لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتموهن — إلا أن باتين بفاحشة مبينة — وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً »

(النساء : ١٩ — ٢٠)

وللرجل القوامة في البيت وعليه الانفاق . وله مزاوله حقوق القوامة في المحافظة على كيان الأسرة من التفكك في مهبط النزوات العارضة ، والمحافظة على العن الذي تتعلق به حقوق الأطفال ، وحقوق المجتمع البشري الذي يعتمد على مؤسسات الأسرة في نموه الاجتماعي ورفقيه .

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتي تخافون نشوزهن

فَعُظُّوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ قَاتِنَ أَطْفَانِكُمْ
فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا . إِنْ أَلَّاهُمْ كَانَ عَلَيْهِمْ كَيْدًا » .

(النساء : ٣٤)

فَإِذَا حِينَ يَتَخَشَّى عَلَى مَوْثِقَةِ الْأَسْرَةِ التَّضَدُّعَ وَالْإِلْهْيَارَ
فَهَذَا إِجْرَاءَاتُ أُخْرَى :

« وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حُكْمًا مِنْ اللَّهِ وَحُكْمًا
مِنْ أُمَّلِهِمْ . إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، إِنْ أَلَّاهُمْ
كَانَ عَلَيْهِمَا كَيْدًا » .

(النساء : ٣٥)

وَلِحِينَ لَا تَجْدِي هَذِهِ الْمَحَاوِلَةَ فَهَذَا الطَّلَاقُ إِذَنْ لِيُحِثَّ
كُلَّ مَنَّهُمَا عَنْ شَرِّكَ يَتَّخِذُ مَعَهُ مَوْثِقَةَ الْأَسْرَةِ عَلَى أَنْبَاطِ
أَهْوَى :

« وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْنِ اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعْتِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا
حَكِيمًا » .

(النساء : ١٣٠)

وَالطَّلَاقُ شَرْطُهُ وَعَدَدُ مَرَاتِهِ وَنِظَامُ الْمَرَاجَعَةِ فِيهِ وَنِظَامُ
التَّفَقُّةِ .. كُلُّ شَيْءٍ مُبَيَّنٌ بِوَضُوحٍ (بِحَيْثُ لَا تَتْرَكَ مِثْلَ
هَذِهِ الْأُمُورِ الْحَيَاتِيَّةِ الْخَطِيرَةِ لِأَهْوَاءِ الْمَشْرِعِينَ مِنَ الْبَشَرِ
فَيَمِيلُوا إِلَى جَانِبٍ ضِدِّ الْأُخْرَى) :

وَلِلْأَطْفَالِ حَقُوقُهُمْ عِنْدَ تَفَرُّقِ الْوَالِدَيْنِ :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا(٨٠) عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » • (البقرة : ٢٣٣)

وبعد .. أيتها الأخت المسلمة .. هل تجددين شريعة في الأرض — شرقا أو غربا — رفعت من شأن المرأة ، وحفظت لها حقوقها ، وشرفتها أجل تشريف ، وجعلتها — مع الرجل — في أحسن تقويم ، وحمتها من الوأد صغيرة ، وأعطتها احترام الرجل وحبه وهي زوجة كبيرة ، ثم رعتها وهي أم عجوز ، وألزمت الجميع ببرها ، ولم تحرمها حقا ماديا ، ولا معنويا ، بل خففت عنها كثيرا من أعباء التعامل .. مع الله ، ومع العباد ، أقول هل تجددين شريعة فعلت ذلك كله مثلما أقرت الشريعة الإسلامية ؟ !
وان كان من خال ، فالعيب فينا — رجالا ونساء — لا في الشريعة ، فلنحتكم إليها ، وإذا اختلفنا فلنرجع إليها ، فوالله ان هذا الدين ليهدى للتي هي أقوم •

وأما خلاصة القول في المرأة اليهودية المظلومة ، فيقد ظلمتها تشريعات الأحيار والكهان والنصوص فشدت عليها ، وحرمتها الكثير من الحقوق الانسانية البدائية ، وظلمتها في زمننا هذا تشريعات انسانية جانحة فأتاحت لها كل شيء ، الطيب والقيح ، فوقعت في الزلل ، وخسرت أكثر مما خسرت في الماضي .

وقد استطعت اقتطاف بعض الفقرات من أحد الكتب اليهودية (٨١) التي تتحدث عن المرأة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، نجعلها في هذا المقام خلاصة لما سبق وأن بيناه في فصول هذا البحث .

« ان الزوجة والأم الصالحة تساعد زوجها على انجاز واجباته . وهي مسؤولة عن تنفيذ قواعد التغذية والحفاظ على الطقوس العائلية وتطبيقها . حتى وحين يقوم زوجها بالمراسم فإن من واجبها تحضير كأس النبيذ ، ورغيف الخبز ، والسكين ، والمشفة ، والطيب أو ماتدعو اليه الحاجة . لكن الطقوس الدينية لا تشملها خارج المنزل ، ولا يفترض أن تكون على علم بها . علاوة على ذلك ، فهي لا تملك حرية التصرف حتى في الاحتفالات المنزلية . وعليها عند مواجهة مشكلة ما ، استشارة أحد الرجال —

(٨١) ناثالي رين ، المرأة اليهودية : الماضي والحاضر والمستقبل ، تعريب سهام منصور ، القاهرة ، الطبعة العربية الثانية ، ١٩٨٧م .

أكان زوجها أم حاكمها ، أم عالم جليل - حتى وإن كانت
تملك الجواب شخصيا من خلال خيرتها فليس لها حق
التقرير بنفسها (٨٢) »

تنكر الشرائع والتقاليد اليهودية على المرأة حقها بصراحة
في المشاركة بالنظام الكنسي ، لكي لا تنصرف عن دورها
كخادمة أو راعية لشؤون المنزل ، أو كأي فرد كادح
في العائلة . وفيما يلقي الكنيس بسلطته وسيطرته
الاجتماعية بالمسؤوليات والمهام الجسم على عاتق الرجال ،
فهو يضيئ طابعا ومكانة خضاعة على حياتهم ، فيباتوا
ينعمون باحترام كامل . فالدين يأمر بالطاعة ، الطاعة
التي تعلي من شأنهم ، وتغنيهم .

لها بالنسبة إلى المرأة فالدين فرض عليها الخضوع
والطاعة والاستسلام (٨٣) .

وحيث أن دراسة الشريعة الالهية ، وهي المعيار الرئيسي
لمكانة المرأة ، لم تكن مخصصة بالنساء ، فقد بنى
مبعدات آليا عن مراتب التكريم في المجتمع . فمنزلة المرأة

(٨٢)
Mark zborowski and Elizabeth Herzog, *Life and*
People, Schocken Books, U. S. A, 1970, P. 130.

تقلا عن نخالي بين ، المدم السابق ، ص ٩ - ١٠
(٨٣) المدم السابق ، ص ١٠ - ١١ .

الإصولية هي أمر غير مباشر . فهي لا ترتبط بنفسها كفراد
من الأفراد بقدر ارتباطها بدورها كزوجة أو والد (٨٤) .

ومنذ الولادة ، لم تعط الفتيات مكانة لهن في العائلة ،
بل كن عبئا لا مستقبل له عدا الزواج وانجاب الأولاد ،
والبنين بشكل خاص ، فالمرأة العزباء لا هوية لها
ان لم تكن زوجة أو عروس المستقبل لكن الزواج
بالمزاج كان للمرأة مصدر اذلال واهانة (٨٥)

والكتاب الذي أثرت اليه آنفا بعد وثيقة صارخة
بما عليه المرأة اليهودية سواء في الشرائع اليهودية ،
أم خلال تاريخ المرأة الطويل ، وشتان بين ما سقته
لك - أيتها الأخت القارئة - بين ما أورده الأستاذ
سيد قطب رحمه الله ، وبين ما أورده ذلك الكتاب اليهودي
شأن المرأة .

وإذا نظرنا بعد هذا العرض لأوضاع المرأة بين الشيعة
الاسلامية والنظم اليهودية نجد أنفسنا أمام
سؤال هام : أين تقف المرأة المسلمة والمرأة اليهودية
في أواخر القرن العشرين ؟

ان المرأة المسلمة وان تمتعت بالكثير من المزايا الحديثة

(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٥

(٨٥) المصدر السابق ، ص ١٦

نتيجة القوانين والنظم الوضعية في معظم البلدان
الاسلامية ، نجدها قد تباعدت كثيرا عن المكانة اللائقة
بها والتي حددها لها الاسلام . فقد خرجت للعمل ،
وزاجمت الرجل في معظم الأشغال والمهام ، ومازالت
تطالب بالمزيد من المساواة « الظاهرية » مع الرجل
والتي ثبت فشلها في المجتمعات الرائدة في هذا التيار ،
وسيأتى يوم تدرك فيه المرأة المسلمة أن هذا المطلب
الناقض لطبيعتها لم يزد لها احتراما ، ولم يزد لها سموا ،
وستدرك أيضا أن أجيالا وأجيالا من بنات جنسها
قد دفعن ثمن تلك الدعوة الطائشة .

والمرأة اليهودية المعاصرة في اسرائيل أصبحت تحظى
بما لم تكن تجلُم به منذ قرون وذلك عن طريق العديد
من التشريعات الاصلاحية المعاصرة (٨٦) وصارت هي
الأخرى تراحم الرجل في كل أعماله حتى في الجنديّة
والمستوطنات (٨٧) ، ومع ذلك نراها — أيضا — غير
راضية عما نالته من امتيازات .

وحال هذه ، وحال تلك ، يجعلنا — نحن النساء —
في حيرة من أمر بنات جنسنا ، فماذا تريد حواء ؟!
سؤال سيبقى دائما بلا اجابة شاقية .

(٨٦) المصدر السابق .

(٨٧) دفنا بزرعيلي ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ — ٢٢٨ .

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١١	تمهيد
١٣	المرأة المسلمة والمرأة اليهودية : نظرة عامة
٢٧	القوامة بين الشريعة الاسلامية والتشريع اليهودي
٣٠	الزواج اسلاميا ويهوديا
٤٤	تعدد الزوجات عند المسلمين وعند اليهود
٤٨	الطلاق
٥٢	الملكية والميراث
٥٦	تعليم المرأة وعملها
٦١	خاتمة

تصويب

ض ٣٢

«ومن آياته أن خلق من أنفسكم»

الصواب :

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم»

رقم الايداع

١٦٧٦ / ١٩٨٨